

اسم المقال: روايات الأصمعي عن فصاحة الأعراب: دراسة نقدية في معقوليتها ومرجعياتها الحجاجية

اسم الكاتب: فايز مد الله الذنبيات

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/8911>

تاريخ الاسترداد: 2026/06/07 12:15 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



جامعة الشارقة
ملتقى الحضارات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلم
الإنسانية
والاجتماعية



المجلد 13 ، العدد 2

ربيع الأول 1437 هـ / ديسمبر 2016 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومرجعياتها الحجاجية

فايز مد الله الذنبيات

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة جازان

جازان - المملكة العربية السعودية

تاريخ القبول 2016-04-26

تاريخ الاستلام 2015-12-27

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى سير أغوار ظاهرة الرواية الأصمعية من خلال منهج نقدي سياقي- يحاول استكناه ما وراء كثير من الروايات من مرجعيات حجاجية، فضلا عن رد كثير منها بعد نقدها من جهة سياقية. وذلك أن روايات الأصمعي مفرقة في مئات الكتب، لكننا عندما نقوم بفرزها بناء على موضوعاتها يتبدى للناظر فيها بطلان بعضها لمجرد النظر؛ لأنها تقوم على تكرارات كثيرة غير معقولة. وقد هدف البحث إلى إثبات ظاهرتين تعلقنا بروايات فصاحة الأعراب التي وصلتنا منسوبة إلى الأصمعي. أما الأولى فهي إظهار أن لهذه الروايات مرجعيات حجاجية فيما يتصل بالرد على الشعوبيين الذين اتخذوا من الأعراب نموذجا للهجوم على العرب والعربية. والثانية هي: ضعف كثير من هذه الروايات بناءً على معقوليتها وموافقها لسياق الواقع، أو التحقيق في نسبة الرواية لمصدرها. وقد تضمن البحث ترجيحات لبعض الروايات وإظهارا لتهاافت بعضها الآخر. وقد اختارات الدراسة الروايات التي تدعم مفهوم الأصمعي للفصاحة؛ فهو لا يروي المُلح والنوادر إلا من باب مطابقتها لمعايير الفصاحة عنده.

الكلمات الدالة: روايات الأصمعي، نقد الروايات الأدبية، الفصاحة، المرجعيات الحجاجية.



مقدمة:

فايز مد الله الذنبيات (118-88)

الحمد لله مودع أمانة العقل عند الإنسان، الممتن عليه بنعمة البيان، الجاعل مناط التكليف رهنا بالألب والجَنان، والصلاة والسلام على المصطفى المبعوث بالقرآن وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان. وبعد.

فقد غصت كتب التراث العربي -على اختلاف مشاربها- بألاف الروايات المنسوبة للأصمعي، وقد تعددت موضوعاتها بين لغوية وتاريخية ونقدية وحديثية، وبين ما يختص بالأنساب والتراجم وغيرها، وكان من بين هذا العدد الكثير من الروايات جانب اختص بإظهار فصاحة الأعراب والإخبار عن ثقافتهم وما يمتازون به من سعة في التعبير. وقد نقل الأصمعي كل ذلك من خلال مواقف وحوارات درامية شاء من خلالها أن ينفض الغبار عن كنز ثمين.

وقد ارتبط اسم الأصمعي بمُلح الأعراب ونوادرهم، والمتأمل فيما نُقل عنه من نوادر يتناهى إليه أن الرجل كان يهدف من وراء ذلك إلى ترسيخ صورة التفوق العربي، وذلك يدعونا إلى تخمين أن هذه الصورة ربما ترعزت، أو تعرضت للتشويه والانتقاص. والأصمعي لم يشأ أن يدخل صراعاً غلب على السوق من الناس وعُرف بصراع الشعوبية، وقد حاول المثقفون أن يترفعوا عنه -وإن ولج فيه طائفة منهم- ولكنه في الوقت نفسه قام بالرد على مزاعم الشعوبيين من جهة إظهار سمو العنصر العربي، كما عدل عن تبخيس الأطراف الأخرى إلا نادراً. ومن هنا سعت هذه الدراسة -من خلال منهج نقدي سياقي- إلى استكناه ما وراء كثير من الروايات من مرجعيات حجاجية، فضلاً عن رد كثير منها بعد نقدها من جهة سياقية. وذلك أن روايات الأصمعي مفرقة في مئات الكتب، لكننا عندما نقوم بفرزها بناء على موضوعاتها يتبدى للناظر فيها بطلان بعضها لمجرد النظر؛ لأنها تقوم على تكرارات كثيرة غير معقولة، وذلك قد يوحي أنها وضعت على لسان الرجل.

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد ومبحث واحد. استقل التمهيد بالحديث الموجز عن مفهوم المرجعيات الحجاجية، ثم عن الرواية الأصمعية ودوافعها ومعايير الأصمعي للفصاحة. في حين حمل المبحث عنوان: المشاهد المتكررة، وانقسم إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: مشهد فصاحة المحتضر وشفاء بديهته. والمطلب الثاني: مشهد الأعراب والقرآن. والمطلب الثالث: مشهد النساء الأعرابيات.

وقد اكتفت الدراسة بكتب الأدب العربي القديمة التي مثلت مصادر الدراسة ولم تنح للكتب الحديثة؛ لأنها تتناول ظاهرة في روايات الأصمعي لم يُعنَ بها المحدثون - في حدود اطلاع الباحث.



فايز مد الله الذنبيات (88-118)

أساس غلبتها القرآن، والقرآن نص إلهي بلسان عربي؛ لذا فالأعراب يقعون في صدارة هذا اللسان وهم أملك الناس له، وعلى الرغم من أن كثيرا منهم ليس على دراية كافية بالقرآن إلا أنهم أقدر الناس على فهم غاياته. فالأعراب وإن فانتهم المدنية في مظاهرها- إلا إنهم بمنزلة الجذور التي تثبت الشجرة وتمنحها الحياة. ولا يحق لأي أحد الانتقاص منهم. ولا عجب في ذلك حين نجد جانباً من روايات الأصمعي مُنصباً على موقف الأعرابي من القرآن، وكيف أنه ينغمس في فهمه إلى حد لا يجاريه فيه مجار. هذا ما لم يقله الأصمعي صراحةً، لكنه سعى إلى ترسيخه من خلال إغراق أذان المتلقين برواياته عن الأعراب. تلك الروايات التي شاعت وانتشرت في حقبة اشتداد هجمات الشعوبيين على الثقافة العربية. لكنها نُقلت إلينا من غير سياقها التاريخي الذي وُلدت فيه. ومن غير شهرة الأصمعي كأحد الذين جابهوا الشعوبية ودافعوا عن الثقافة العربية، كالجاحظ وابن قتيبة مثلاً، على أن كثيراً من هذه الروايات يظهر بطلانها وعدم معقوليتها.

وقد يتبدى للناظر في هذه المعارف أن الذي استدعى مدح الأعراب بهذه الكثافة هو تلهف المتلقين لسماح هذه النوع من الروايات. وعلّة تلهفهم تتعلق بالهجوم على العرق العربي والميراث الحضاري والثقافة العربية. وكان هذا الهجوم محركاً لتوحد العنصر العربي دفاعاً عن الهوية. وهذا الأمر لا نكاد نجده في الحقبة الأموية التي شهدت نيل العرب من بعضهم بعض؛ لعدم وجود غيرهم على ساحة الصدارة، وهذا الذي يفسر انتشار الهجاء القبلي في الحقبة الأموية، وانتشار الهجاء العرقي والفخر العرقي في الحقبة العباسية. وقد استغل بعض الشعوبيين الهجاء القبلي زمن الأمويين في إبراز مثالب العرب، كما نسب إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى في عنايته وشرحه لنقائض جرير والفرزدق⁽¹⁾. وقد كان ذلك كله رهناً بسياسات الدول التي تصنع الصراعات، فيتولد السياق التاريخي للظواهر والأحداث ومنها: ظاهرة الرواية الأصمعية، والتأليف عند الجاحظ، فكلاهما تحركا بفعل السياق التاريخي للأحداث. وكان هم الأصمعي إثبات براعة العرق العربي وامتيازته بالشمائل والذوق والفتنة والبديهة وقوة الحجة وفصاحة اللسان وإصابة كبد المعنى. وكلها أمور جوهرية لا تتعلق بالمظاهر الشكلية ولا بالمنجزات المادية. وقد جعل الأصمعي من فصاحة العرب عنواناً عريضاً يدل على كل الخصال الحميدة. ولو تتبعنا الحقول الدلالية التي تنتمي إليها روايات الأصمعي عن الأعراب لوجدناها تكاد تنحصر في الموضوعات الآتية: الدفاع عن الهوية البدوية من خلال إبراز سمات: الذكاء والفتنة والقناعة ومكارم الأخلاق. ثم الحديث عن الأمية لا تعني غياب الفكر أو الذوق. وكذلك محاولة جعل الموروث الأدبي حاملاً للمعارف، وأخيراً جعل القيمة الأخلاقية هي المرجعية الإنسانية السامية التي تتجاوز التحضر غير الأخلاقي. وكلها مفاهيم حجاجية بالدرجة الأولى.

(1) انظر في هذا المجال: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، (دط) 1960، ص: 155.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

رابعاً: الغاية من صناعة الرواية:

قد يستدعي المقام الحجاجي طرفي نقيض افتراقاً عند فكرة، وأخذ كل طرف يسعى إلى تمكين رأيه بالأدلة وتضعيف رأي غيره، ويتم هذا الحجاج عادة إذا كانت الرسالة موجهة إلى متلق معين. وقد يدخل في ثنايا هذا الحجاج ما يمكن تسميته بـ(الحجاج المسبق) أو المفترض. وفي هذا النوع من الحجاج نتعرف على أفكار تمثل دفاعاً ضد أفكار مضادة يُفرض أنها ستوجد، أو أنها وُجدت وغاب عنا سياقها التاريخي.

لعل الغاية الأولى من صناعة الرواية غاية حجاجية قوامها الرد على الشعبية وإبراز فضائل العرق العربي⁽¹⁾. ثم تطورت الغاية إلى المنفعة المادية في بلاط السلاطين مضافة إلى الشهرة، فأصبح للعناية بصناعة الرواية أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية. ويُعد إقبال الكتب الأدبية المختلفة على الولوج بروايات الأصمعي من باب اتخاذها نموذجاً للفصاحة الفطرية والسليقة العفوية من منظور الأعراب. وحين ذاع صيت الأصمعي في رواية الملح -التي تعكس مفهومه للفصاحة زاد احتياجه إلى الجديد منها، إذ كانت الوسيلة في ذلك -حسب اعتقادنا- هي الوضع-إذا صحّت نسبة الروايات إليه. لذلك نجد كتب التراجم تبدأ ترجمته بهذه المقولة: «وقال الأصمعي: وُصِلت بالعلم وكسبت بالملح» (الجاحظ: ج-3ص:463). ومن هنا كانت الملح مصدر كسب كما يروي عن نفسه⁽²⁾.

خامساً: معايير الفصاحة عند الأصمعي:

يُعدُّ انتقاء الرواية عند الأصمعي قائماً على مفهومه للفصاحة؛ فهو لا يروي الملح والنوادر إلا من باب مطابقتها لمعايير الفصاحة عنده، وينبع مفهوم الفصاحة عنده من قوة الاحتجاج وإصابة كبد المعنى، مع إيجاز جميل، والمعول عنده على الاحتمال للمعنى من حيث مغاييرته للمألوف، أو مفاجأة المتلقي بما لا يتوقعه من خطاب مألوف. وعلى هذا

(1) انظر في هذا المجال: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط7، 1988، ص: 393

(2) وقد جاء في ترجمته أنه كان يُتهم بوضع الروايات. فمن ذلك: «وقال كنت عند الرشيد فشرّب ماءً بثلج فاستطابه، فقال: الحمد لله، ثم قال لي: أتُحفظ في هذا شيئاً يا عبد الملك؟ قلت نعم، وأنشدته:

وشربة الثلج بماء عذب تستخرج الشكر من أقصى القلب
شكراً من العبد لنعمى الرب

فقال لي: يا أصمعي ما سُمع بمثلك، قلت فإلناس معذرون فيه إذ قالوا: إنه يضع، فإن هذا الاتفاق لاستحضار الأبيات بعيد، فهو إما أن تكون الواقعة قد وضعها، وإما أن يكون الشعر ارتجله وهو أعظم، وقال لا ينبغي للإنسان أن يدخل على الملوك بغير الملح من الشعر، فإن الرشيد أعطاني في أبيات أنشدته في ليلة ثلاثة آلاف دينار»، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفى: 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، (دط) 1420هـ- 2000م، ج-19ص:129





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

الأساس بنى الأصمعي رواياته عن الأعراب في تفليق الحجج، وتقوية موقف المتكلم. وكل هذا يعود إلى تعريفه للبلاغة، فهي عنده: « لهجة صوالة، وهي سرعة الحز وإصابة المفصل » (أبو حيان التوحيدي، ج-5 ص:154). وهي تعود إلى قوة الحجة وسرعة البديهة والقدرة الفائقة على الجدل بما لا يترك للمقابل إلا التسليم. وقد أثر عنه عدة روايات في نظراته للفصاحة تصب كلها في المنحى نفسه. يقول مثلاً: « قال الأصمعي: سئل عبيد الله بن عتبة عن الفصاحة فقال: دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقدرح المراد، وقليل من كثير » (أبو حيان التوحيدي: ج-35 ص:2). وفي هذا التعريف يتجلى المفهوم الحجاجي بشكل أوفى في وصفه: (قرع الحجة) وفي عدم الاكتراث بجمال الصياغة، وإنما عنى بدنو المأخذ: سهولة بسط المعنى وطرحه بطريقة لا تحتمل التعقيد. وفي هذا المعنى نفسه نجد له مرويةً أخرى جاء فيها: « سمعت الأصمعي يقول: ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان، ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب » (البستي، ص:222). وفي هذا يظهر الجزء المهم من نظرة الأصمعي إلى الفصاحة وهو: المعنى، من حيث قوته وغرابتة ومناسبته للسياق، وقدرته على قلب المفاهيم. لذلك سنجد أن الأصمعي يركز في رواياته وملحه ونوادره على قدرة الأعراب في استحضار المعنى الذي يأتي كحجة دامغة في سياقه. فمن ذلك مثلاً: « قال الأصمعي: اتخذ أعرابي كلباً فقبل له: أما علمت أن الملائكة لا تدخل داراً فيها كلب؟ قال: وما أصنع بالملائكة؟ يرون أسراري ويحصون علي ذنوبي » (أبو حيان التوحيدي، ج-6 ص:78). فبمثل هذا الرد المفحم -الذي يضعف حجة المدعي- يسعى الأصمعي إلى ترسيخ مفهوم الفصاحة. وإن في مثل هذه الرواية مغالطةً تقلب الحجة على مدعيها فلم يدافع عن اقتناء الكلب وإن هاجم فائدة حضور الملائكة. ومن هنا يشعر القارئ لروايات الأصمعي بتقارب أسلوب كثير منها حتى ليخيل إليه أنها من صنع شخص واحد، لأنها تشترك في ما يجعلها الأصمعي عنواناً للفصاحة وهو: الاحتيال للمعنى والمحاكاة القوية.

المبحث الأول: المشاهد المتكررة :

ينحو هذا الفصل من الدراسة إلى تضعيف كثير من الروايات المنسوبة للأصمعي -فيما يخص فصاحة الأعراب- من خلال سياقات غير واقعية. فثمة تكرارات في الروايات المنسوبة للأصمعي لمشاهد تتغير فيها أسماء الشخصيات والنصوص بينما يظل قالب الفني للحكاية شبه ثابت. ومثل هذه المشاهد المتكررة إذا نظرنا إليها نظرةً شموليةً يداخلنا قلق الشك في نسبتها للراوي، وإذا قمنا بمحاكمتها بناءً على سياق الواقع تظهر التهافت فيها من جهات عدة، وذلك لقيامها على خلق المصادفات الغريبة. ونظراً لضيق مساحة الدراسة سنقتصر على ذكر عدد من المشاهد المتكررة فقط، والاقتصار على ذكر عدة روايات للمشاهد الواحد أيضاً. ولكننا نستطيع تقدير الأسباب التي دعت إلى وضعها





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

وتناقضها. أما المشاهد فهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: مشهد فصاحة المحتضر وصفاء بديهته:

دائماً ينتهي المشهد الدرامي المأساوي لخروج روح الشخصية عند الأصمعي بحضور الراوي وشهادته على فصاحة بيت أو مقولة: تنذيل بها حياة الشخصية. وتنتهي الحكاية. أو قد يرويها له راوٍ ثانٍ فيصادق على تلك النهاية العجيبة. وفي تاريخنا الأدبي عموماً روايات عجيبة عن نهايات الشعراء ومصارع العشاق منهم على وجه الخصوص تدخل باب الغرائب. والناظر في وفيات الشعراء والمشاهير في كتاب الأغاني أو غيره يجد من السير الشيء العجيب؛ فشاعر يقتله الشعر كالمجنون، وكاتب تقتله الكتب كالجاحظ. ولا شك أن في مثل هذه الروايات صناعةً دراميةً⁽¹⁾. ومن هذا المنطلق تسوق إلينا كتب الأدب كما هائلا من القصص -التي شهدتها الأصمعي أو كان أحد رواة سندها- تُفحم على عقل المتلقي غرائب المصادفة بما يتنافى مع سياق الواقع. ولعل ولع الأصمعي -إن صحّت نسبة الروايات له- في نشر مثل هذه يرجع إلى ترسيخ مبدأ الفصاحة التي تصدر عن سليقة لا يحدها حد حتى لو كانت نفس صاحبها تصارع الموت.

ومما يدعو إلى الاستغراب تصوير مشاهد الاحتضار لبعض الشخصيات؛ إذ تتجلى قرائنهم بالنظم المؤثر، وحين تبلغ أبياتهم أذان الراوي تفارق أرواحهم الأجساد. في سياق مناف لبديهيات الحياة. فالمحتضرون وهم يدفعون الموت وتتحسّر حناجرهم لا يُعقل أنهم سيكونون قادرين على الاسترسال بالقول المؤثر. ولعل مبعث مثل هذه الروايات المصنوعة أمران: الأول: تعزيز تمييز العرق العربي بالفصاحة وحضور البديهة دون تكلف حتى في أصعب لحظات العمر حرجاً وهي خروج الروح. أما الأمر الثاني: فهو الانتفاع المادي برواية مثل هذه الأخبار عن العشاق في مجالس السادة، لا سيما وأن شهادة الأصمعي في بعضهم أنه كان يحب أخبار العشاق. كما جاء في إحدى الروايات: «حدّث

(1) انظر على سبيل المثال: ما ذكره صاحب الأغاني في وفاة ليلى الأخيلية: «أن ليلى الأخيلية أقيمت من سفر فمرت بغير توبة -ومعها زوجها وهي في هودج لها- فقالت والله لا أبرح حتى أسلم على توبة فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلا أن تلم به، فلما كثر ذلك منها تركها فصعدت أكمة عليها قبر توبة فقالت: السلام عليك يا توبة، ثم حولت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفت له كذبة قط، قالوا وكيف قالت أليس القائل :

ولسوا أن ليلى الأخيلية سلمت
للسلمت تسليم البشاشة أو زقا
علي ودوني تُرْبَةٌ وصفائح
إليها صدّي من جانب القبر صائح
وأغبط ممن ليلى بما لا أناله
ألا كل ما قرّت به العين صالح

فما باله لم يسلم علي كما قال: وكانت إلى جانب القبر بومة كامنة، فلما رأته الهودج واضطرابه فزعت وطارت في وجه الجمل، فنفر فرمى بليلى على رأسها فماتت من وقتها، فدفنت إلى جنبه، وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2، (دت)، ج-11 ص:246.





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

الأصمعي عن وصيف حاجب المهدي قال: كنا مع المهدي بزباله وقد خرج حاجًا، فإذا أعرابي يقول: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، إنني عاشق، (قال الأصمعي: وكان يحب ذكر العشاق). فدعا بالأعرابي فلما دخل عليه قال: أنت المنادي بالعشق؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال له: ما اسمك؟ قال: أبو مياس، قال: يا أبا مياس، من عشيقتك؟ قال: ابنة عمي، وقد أبى أبوها أن يزوجه مني. قال: لعله أكثر منك مالا، قال: لا بل أنا أكثر منه مالا. قال: فما قصتك؟ قال: فقال له الأعرابي: أدن رأسك مني. قال: فجعل المهدي يضحك وأصغى إليه برأسه، فقال: إنني هجين، قال: فليس يضرك ذلك، إخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجين.. وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف، ومعوضك مما كرهت عشرة آلاف. قال: فذلك لك»⁽¹⁾ (ابن حمدون، ج-9 ص:370). ومن هنا يذهب الباحث إلى أن لصناعة مثل هذه الروايات دوافع شخصية وأخرى حجاجية. كما يلمح من الرواية بعد حجاجي عرقي آخر وهو: نظرة الأعراب الصرحاء إلى من اختلطت أعراقهم بغير العرب إذ كانوا ينتقصونهم ولا يزوجهونهم، ومثل هذه الرواية كفيلا بذلك. وفيها مزيد من تعظيم العرق العربي وتنزيهه عن غيره.

أما الحديث عن فصاحة المحتضر فقد تواتر في كتب الأدب والتراجم منه الكم الهائل. ونحن نعلم بما رواه الأصمعي من روايات تنافي معهود السياق الواقعي. ففيها أبيات وقد صنع لهذه الأبيات سياق درامي مشوق لتدخل إلى ذائقة المتأقنين بلطف، كملحة يمرر من خلالها الراوي أيديولوجيته ممزوجة بأشعار قالها قائلوها في مناسبات لا نعلمها، قد تكون مغايرة لما وصلنا. فمن ذلك مثلاً: «حكى الأصمعي: قال: بينما أنا أسير في البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت:

أيا معشر العشاق بالله خبروا إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته:

يداري هواه ثم يكتم سرّه ويخشع في كلّ الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته:

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفي كلّ يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته:

إذا لم يجد صبورا لكتمان سرّه فليس له شيء سوى الموت أنفع

(1) وانظر النص نفسه عند: ابن الجوزي، أخبار النساء، ص:206. وانظر: الحسيني السراج القاري، مصارع العشاق، ص:240.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118) ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته:

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا سلامي على من كان للوصل يمنع»

(الأبشيهي، ج-2ص366) والرواية عند الشرواني.

ولا يخفى على أي كان أن مثل هذه الرواية لا يمكن أن تكون معقولة، وأنها من صنع راوٍ. ولا يمكن مناقشة عدم معقوليتها لانعدام المعقول فيها، لكن يهمننا معرفة الخلفية التي صدرت عنها صناعة مثل هذه النهايات الدرامية. لا شك أن فيها محركا يرفع من شأن العرق العربي ورهافة حسه وتقانيه في وفائه للمحبوب، مع فصاحة لسانه وحسن بيانه. وكلها خصال روحية تحاول تعديل كفة غياب المنجزات المادية المحسوسة التي وُصم بها الأعراب. ومن ذلك مثلاً: «حدثنا الساجي عن الأصمعي قال: رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه، وضؤل جسمه، ورق جلده، فتعجبت فدنوت منه أسأله عن حاله، فلم يرد جواباً، فسألت جماعةً حوله عن حاله، فقالوا: اذكر له شيئاً من الشعر يكلمك، فقلت:

سَبَقَ الْقَضَاءُ بَأَنْتِي لَكَ عَاشِقٌ حَتَّى الْمَمَاتِ ، فَأَيْنَ مِنْكَ مَذَاهِبِي؟

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقت، ثم أنشأ يقول:

أَخْلَوْ بِذِكْرِكَ لَا أُرِيدُ مَحْدَثًا وَكَفَى بِذَلِكَ نِعْمَةً وَسُرُورًا

أَبِكِي فَيُطْرَبُنِي الْبُكَاءُ ، وَتَارَةً يَا بِي ، فَيَأْتِي مَنْ أَحَبُّ أَسِيرًا

فَإِذَا أَنَا سَمَحٌ بِفُرْقَةٍ بَيْنَنَا أُعْقِبْتُ مِنْهُ حَسْرَةً وَرَفِيرًا

قال، فقلت: أخبرني عن حالك؟ قال: إن كنت تريد علم ذلك، فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده:

أَلَا مَــــا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَعُودُ أَبُخْلُ ذَاكَ مِنْهَا أَمْ صُدُودُ؟

فَلَوْ كُنْتَ الْمَرِيضَةَ جِئْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ ، وَلَمْ يُنْهَنْهُنِي الْوَعِيدُ

فإذا جارية مثل القمر قد خرجت، فألقت نفسها عليه، فاعتنقا، وطال ذلك فسترتهما بثوبي خشية أن يراهما الناس. فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهما، فإذا هما ميتان، فما برحت حتى صليت عليهما، ودفنا، فسألت عنهما فقيل لي: عامر بن غالب وجميلة بنت أميل المُرَيَّان، فانصرفت»⁽¹⁾. (ابن الحسين السراج، ج-2ص:26)

(1) والحكاية لها روايات أخرى مختلفة أكثر غرابية. انظر على سبيل المثال: ابن قتيبة، عيون





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

ولا شك أن أسبابا كثيرة غير معقولة تمنع من تقبل مثل هذه الرواية، ليس أقلها أن يكون هو السقيم وهي مثل القمر لم يمرضها العشق، ولكن العشق أمتها فجأة. وثمة أسئلة تبطل معقولية المشهد منها: أي جرة منها ومنه على العناق؟ وأي غياب للشخصيات الأخرى (الجماعة الذين كانوا حوله) عدا الراوي عن ساحة الحدث؟ وأي نهاية درامية انتهت القصة عند حضور الراوي؟ ولا شك أن صانع هذه الرواية لم يكن هدفه التسلية بالغرانيبات، بل ربما أراد أن ينقل عادات مجتمع تقتله ألغام العشق والشعر؛ ليمعن في إضفاء مسحة رومانسية عليهم رفعة لشأنهم.

ومن هذه الروايات أيضاً: «أخبرني الرياشي عن الأصمعي عن جبر بن حبيب قال: أقيلت من مكة أريد اليمامة فنزلت بحي من عامر، فأكرموا مثواي، فإذا فتى حسن الهيئة قد جاءني، فسلم علي، فقال: أين يريد الراكب؟ قلت: اليمامة. قال: ومن أين أقيلت؟ قلت: من مكة. فجلس إلي، فحادثني أحسن الحديث ثم قال لي: أتأذن في صحبتك؟ قلت: أحب خير مصحوب، فقام، فما لبث أن جاء بناقة كأنها قلعة بيضاء، وعليها أداة حسنة، فأناخها قريباً من مبيتي، وتوسد ذراعها، فلما هممت بالرحيل أيقظته فكأنه لم يكن نائماً، فقام فأصلح رحله فركب وركبت، فقصص علي يومي بصحبته، وسهلت علي وعودت سفري، فلما رأينا قصور اليمامة تمثّل:

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافِ بَأْيَدِي مُصَلِّتَيْنَا

وهو في ذلك كله لا ينشدني إلا بيتاً معجباً في الهوى، فلما قربنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا، فقلت له: لعلك تحاول حاجة في هذه الأبيات؟ قال: أجل قلت: انطلق راشداً. فقال: هل أنت موفٍ حق الصحبة؟ قلت: أفعل. قال: مل معي فملت معه، فلما رآه أهل الصرم ابتدروه، وإذا فتیان لهم شارة، فأناخوا بنا وعقلوا ناقتيننا، وأظهروا السرور، وأكثروا البر، ورأيتهم أشد شيء له تعظيماً، ثم قال: قوموا إن شئتم، فقام، وقمت لقيامه، حتى إذا صرنا إلى قبر حديث التطيين ألقى نفسه عليه، وأنشأ يقول:

لَئِنْ مَنَعُونِي فَمَيَّ حَيَاتِي زِيَارَةً أُحَامِي بِهَا نَفْسًا تَمَلَّكَهَا الْحُبُّ

فَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أُجَاوِرَ لِحْدَهَا فَيَجْمَعُ جِسْمَيْنَا التَّجَاوُرُ وَالتُّرْبُ

ثم أن أنات، فماتت مع الفتیان حتى احتفروا له ودفناه. فسألت عنه، فقالوا: ابن سيد هذا الحي، وهذه ابنة عمه، وهي إحدى نساء قومه، وكان بها مغرمًا، فماتت منذ

الأخبار، ج-4، ص:127، وانظر رواية: النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، 2004، ج-2، ص:198. وانظر: ابن الجوزي، ذم الهوى، ص:510





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118) ثلاث... فركبت وكأنني والله قد ثكلت حميماً⁽¹⁾. (الحسيني، ج-1ص: 139).

ومثل هذه الرواية التي نأى فيها الأصمعي عن أن يكون شاهداً بل دخل في سند روايتها تلتقي مع سابقتها في النهاية الدرامية المأساوية إذ تركز كلها على موت الفجأة الذي يعم أبطال القصص، وتنتهي عادةً ببيتي شعر ربما كانا حقيقيين لكن صنعت لهما هذه المناسبة من أجل التشويق، ومن أجل الترويج لفكرة المجتمع المحافظ الذي يأبى -لا كغيره- التقاء النساء بالرجال. وهذه الفكرة عن العفة ستضرب بها روايات أخرى عرض الحائط كما سيأتي لاحقاً. ومن هذه الروايات أيضاً: «أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي جميعاً عن الأصمعي قال: كنت في سفر فوقف علينا في بعض المنازل غلام فقال: أياكم رجل من أهل البصرة؟ قلنا له: ما تريد منه؟ فقال: إن مولاي من أهلها وهو يريد أن يوصي إلي، فممت معه فإذا بالعباس بن الأحنف. وجود بنفسه وقد ألقى بنفسه على طين مبلول فجلست عند رأسه فرفعه طرفه إلي فلما تبينني أنشأ يقول:

يا بعيد الدار عن وطنه مفردا يبكي على شجنه

كلما جدّ النجاء به جدت الأسقام في بدنه

ثم أغمي عليه فما أفاق إلا بصوت قمرية على غصن بالقرب منه فأنشد يقول:

ولقد زاد الفؤاد شجي صوت قمرية على فننه

شفه ما شفني فبكا كلنا يبكي على سكنه

ثم قضى فتوليت جهازه». (الزجاجي، ج-1ص: 52).

ما وصية هذا الشاعر المحترق الذي قام بتأخير وفاته لحين قدوم أحد البصريين؟ هل ليُسمعته اشتياقه لوطنه فحسب. وأي فصاحة وتجلٍ للمخيلة في ساعات الاحتضار؟ لا شك أن مثل الرواية لا تمت للحقيقة بصلة لا سيما وأن لها رواة آخرين منهم الصولي عن رجل من قريش، كما يروي صاحب كتاب: معاهد التنصيص، ورواية أخرى يقدمها صاحب كتاب: نثار الأزهار⁽²⁾. (ابن منظور، ص: 82) في حين ينقل لنا ابن عبد ربه في العقد الفريد خبراً آخر عن وفاة الشاعر والصلاة عليه وهي كافية لدحض الرواية الغرائبية⁽³⁾. في حين اختلف أصحاب التراجم على وفاته، ومن الذين اختلفوا على تاريخ

(1) وانظر ابن الجوزي، ذم الهوى، ص: 550

(2) وانظر أيضاً: عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص: 56.

(3) يقول: «هشام بن عبد الملك الخزاعي قال: كنا بالرقعة مع هارون الرشيد، فكتب إليه صاحب





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

من خلال إسباغ الصفات الكريمة عليهم. وسنكتفي بهذا القدر من روايات فصاحة العاشق المحتضر لتكتشف لنا بعد تجميعها من مصادر مختلفة عن تكرار مصنوع من الروايات غير المعقولة التي تظافرت كتب الأدب على نقلها لأسباب تاريخية أو اجتماعية.

المطلب الثاني- مشهد الأعراب والقرآن:

ركّز جانب من روايات الأصمعي على موقف الأعرابي من القرآن، وكيف أنه ينغمس في فهمه إلى حد لا يجاريه فيه مجار، وهم من هذا المنطلق أقدر الناس على تذوق القرآن والتجاوب معه. فكأن أي انتقاص منهم إنما يلحق بالقرآن لأنه معجزة قائمة على اللغة، والأعراب يمثلون للغة ذروة سنامها. ومن هنا سعت الروايات المنسوبة للأصمعي إلى ترسيخ علاقة تأثرية بين الأعراب والقرآن. وقد تداولت الكتب رواياته في هذا الجانب إلى حد كبير، ككتب التفسير وعلوم القرآن وكتب البلاغة والنقد. منها مثلاً: «حكي الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد:

استغفر الله لذنبي كلّه قَبَلْتُ إنساناً بغيرِ جِلّه

مثل الغزال ناعماً في دَلّه فانصف الليل ولم أصلّه

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أُوَيْعِدُ هذا فصاحة مع قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)؟ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين». (الماوردي، ج-4ص:236) والرواية هذه متواترة في كتب التفسير⁽¹⁾، وللخبر روايتان مختلفتان أيضاً في بعض كتب الأدب⁽²⁾. على أن الناظر في الرواية لا يحار في ردّها وعدم قبولها. ذلك أن استعمال المصطلحات البلاغية مثل: أمرين ونهيين... بعيد التصديق عن جارية أعرابية في القرن الثاني، بسبب أن هذه المصطلحات عُرفت متأخرةً، وبسبب بُعد أهل الصحراء عن مراكز التعلم. يُضاف إلى هذا تناقض أطراف الحديث بين المجون وقيام الليل، ثم جرأة المرأة البدوية على الاعتراف بهذا الفعل والتشهير بنفسها، ورواية ذلك على الغرباء. كل هذا كفيل من جهة سياق الواقع برد هذه الرواية التي قُصد بها رفع شأن الأعراب في الفصاحة، وقدرتهم على تمثّل معاني القرآن. وأخيراً يجب التنكير أن هذه الأبيات هي للشاعر ديك الجن الحمصي وهو من شعراء الغزل الفاحش، وقد وردت في ديوانه، كما أوردها العسكري في كتاب المعاني منسوبةً للشاعر نفسه⁽³⁾. (ديك الجن،

- (1) انظر على سبيل المثال: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج-13ص:252. وانظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج-1ص:209
- (2) انظر أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص:329. وانظر أيضاً: النويري، نهاية الأرب، ج-7ص:7.
- (3) وانظر: العسكري، أبو هلال، ديوان المعاني، ج-1ص:316.





ومن هذه الروايات أيضاً ما تناقلته عشرات كتب التفسير: «عن الأصمعي: أقيمت من جامع البصرة فطلع أعرابي على فُعودٍ له فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصم. قال: من أين أقيمت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن. فقال: اتل علي، فتلوت (والذاريات) فلما بلغت قوله تعالى: (وفى السماء رزقكم) قال: حسبك، فقام إلى ناقته فحرها ووزعها، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى، فلما حجبت مع الرشيد طفقت أطوف، فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر، فسلم علي واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: فرب السماء والأرض إنه لحق، فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؛ قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه»⁽¹⁾. (الزمخشري، ج-4 ص:403).

ويتضح من السياق تهافت الرواية وموت الفجأة الذي يُصيب أبطال قصص الأصمعي بعد نطقهم بالمعنى المؤثر، وسياق الحج والطواف له الكثير من الروايات المشابهة لهذه الرواية. والشخصيات الكثيرة التي يلتقي بها الأصمعي في البوادي صدفةً ثم يلتقي بهم فجأةً في موسم الحج وقد تغيرت حالهم كثيرة جداً، ولا يوجد متسع لذكرها، الأمر الذي يؤول إلى تضعيفها وعدم الأخذ بها؛ ذلك لقيامها على خلق المصادفات المتكررة. ومن المستبعد أن يأتي غريب إلى مدينة فيسأل الأصمعي ممن الرجل؟ ثم من أين أقيمت؟ سؤال غريب، فالأولى بالقدام من بعيد أن يُسأل هذا السؤال. كما أن مشهد الطواف حول البيت قد مات فيه الكثير من أبطال القصص الفصحاء عند الأصمعي. وأن يكتفي متذوق القرآن المنغمس في فهمه قبل بلوغ آخر السورة ويطلب التوقف، ويعود يطلب ما تبقى منها بعد عام صدفةً. ويموت بعد سماع جزء من التتمة أمر مستبعد، وألاً يسمع الأعرابي القرآن من كل الحفاظ إلا من الأصمعي حين يلتقي به مستبعد أيضاً. وكل هذا منافٍ لسياق الواقع. كما أن بناء نكتة القسم في الآيات أن الله احتاج إلى الحلف لأن القوم كذبوه، لا يليق وغير دقيق؛ لأن الذي يلتجئ للحلف هو المتهم، ونكتة القسم على (ما توعدون) هنا هو التأكيد على البعث وليس على الرزق (ابن كثير، ج-4 ص:283). كما أن الكلام متتابع، ولم تنزل الآيات وتتوقف قبل القسم ثم يأتي القسم بعد تكذيب الناس لما تقدمه من خطاب، ولا دليل على هذا. وإن كانت الرواية تنسب لأعرابي غير مؤاخذ على أميته. وثمة سبب آخر وهو ظهور الحكمة في منطوق الرجل، وظهور الطيش في سلوكه، حين

(1) وانظر: النيسابوري، الثعلبي، الكشف والبيان، ج-9 ص:115.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118))
نحر راحلته وكسر سلاحه.

وقريب من هذه الرواية ما تناقلته كثير من كتب التفسير وأكتفي بنقل ابن عاشور لها دون تعليق إذ يقول: «وفي «الكشاف» رُوي أن قارناً قرأ هذه الآية: (فإن الله غفور رحيم) فسمعه أعرابي فأنكره وقال: لا يقول الحكيم كذا لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه، وفي القرطبي عن «تفسير النقاش» نسبة مثل هذه القصة إلى كعب الأحبار، وذكر الطيبي عن الأصمعي قال كنت أقرأ: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم}، وبجني أعرابي فقال كلام من هذا؟ قلت كلام الله. قال: ليس هذا كلام الله فانتبهت فقرأت: {والله عزيز حكيم} [المائدة:38] فقال أصبت هذا كلام الله فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال لا قلت من أين علمت؟ قال يا هذا عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع» (ابن عاشور: ج-2 ص:264). على أن ثمة الكثير من روايات الأعراب والقرآن جاءت عن طريق الأصمعي، إذ تُجمع كلها -أو تكاد- على أن الأعراب لم يسمعوا بالقرآن على عمومهم لكنهم أكثر الناس تأثراً فيه عند سماعه. وبعض هذه الروايات جاءت عن طريق الطُرف التي تؤكد جهلهم بالقرآن وخطئه بالشعر، وما أحسب مثل تلك الروايات إلا أن وضعها شعوبيون على لسان الأصمعي لأن مرجعيتها لا تحتمل مدحا ولا إبرازا للفضائل بل إنها جامعة للذم⁽¹⁾. وقد اشتهرت في ترجمة الأصمعي هذه المقولة: «أن الأصمعي كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء... وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هجاء»⁽²⁾، وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن، هكذا يقول أصحابه» (المبرد، ج-3 ص:28). ومنها: «قال أبو حاتم: سألت الأصمعي عن الصرّف والعدّل فلم يتكلم فيه قال ابن دريد: سألت عنه عبد الرحمن فقال الصرّف: الاحتيال والتكلف والعدّل: الفدى والمثل، فلم أدر ممن سمعه» (السيوطي، ج-2 ص:278) وقد ورد في شرح صحيح البخاري وصحيح مسلم ما نصه: «وقال الأصمعي الصرّف والتوبة والعدل الفدية»⁽³⁾. (ابن

(1) كمثّل الرواية الآتية: «قال الأصمعي: دخلت البادية ومعني شيء أودعته عند امرأة منهم. طلبته منها فأنكرت ووجدت، فقدمتها إلى شيخ منهم فقرّرها، فأقامت على إنكارها. فقال: قد علمت أنه لا يلزمها إلا اليمين أفتريد إحلافها، فقلت: لا تفعل، ألم تسمع قوله:

ولا تسمع لسارقة يمينا ولو حلفت برب العالمينا

فقال: صدق الله، ثم تهدّدها وتشدّد عليها فأقرّت وردّت إليّ مالي. فالتفت إليّ الشيخ فقال في أيّ سورة هذا؟ فقلت في قوله:

ألا هيّي بصحنك فاصبحينا ولا تبيخي خمور الأندرينا

فقال: قد كنت ظننتها في: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) (الفتح: 1)، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية:

ج-3 ص:291

(2) روى الأصمعي كثيرا من قصائد الهجاء، فمن ذلك ما نقله بعضهم على لسان الأصمعي: «قال الأصمعي: ما رويت للعرب في الهجاء مثلها.» ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج-11 ص:430.

(3) وانظر النص نفسه عند: الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج-2 ص:994.





فايز مد الله الذنبيات (88-118)

حجر، ج-4ص:86) أما عن رواية شعر الأنواء فقد جاء في كتاب الأصمعيات ما ينفي هذا الزعم. كقصيدة أعشى باهلة، إذ يقول:

«نعيت من لا تغبُ الحيَّ جفنته ... إذا الكواكبُ أخطأ نوءها المطرُ» (الأصمعي، ص:89)

على الرغم من صورة الورع هذه فإن ثمة عددا هائلا من روايات المجون في بلاط الخلفاء رويت عن الأصمعي⁽¹⁾ كقيلة بتمزيق قناع الورع، إلا أن يكون أحد الوجهين -الورع أو المجون- موضوعا على الرجل. كما أن ثمة روايات في كتب التراث تنقل عن الأصمعي تفسيره لغريب القرآن إلى جانب الروايات المتقدمة التي تؤكد تحفظه وامتناعه عن التفسير. فمن هذه الروايات مثلا: «قولهم ما يدري (ما طحاها) قال الأصمعي: طحاها مذهبها، يعنون الأرض، قال الله جل وعز: والأرض وما طحاها. ويقال طحا قلبه في كذا وكذا إذا تطاول وتمادى. ومنه قوله علقمة:

طحا بك قلب في الجسان طروبُ بُعيدَ الشبابِ عصْرَ حانٍ مشيبُ

أي تطاول وتمادى في ذلك» (المفضل بن سلمة، ص:19) وهذا النص متواتر في المعاجم وكتب اللغة. ومثله أيضا: «وحكى عن الأصمعي أنه قال: ما كنت أعرف الدهاق حتى سمعت جارية بدوية تقول: أسقى دهاقا أي ملأنا». (العلوي، ج-1ص:44) وفي كتب غريب القرآن وغريب الحديث لا تكاد تنقطع الصفحات عن ذكر الأصمعي⁽²⁾.

وقد يلتحق بهذا النوع من الروايات ما نصه: «قال الأصمعي جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وبين محمد بن مسعر الفدكي قال أبو عمرو ما تقول قال أقول إن الله وعد وعدا وأوعد إيعادا فهو منجز إيعاده كما هو منجز وعده فقال أبو عمرو إنك رجل أعجم، لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب، إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الإيعاد كرما وأنشد:

وإني إن أوعدته أو وعدته ليكذب إيعادي ويصدق موعدتي» (ابن هبة الله، ج:70ص:296)

وفي هذا النص يتجلى مفهوم استقراء الحكم والغايات من كتاب الله وجعله حكرا على فصحاء العربية، وجعل المقصرين عن ذلك أعجم القلوب لا عربا، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه في تمهيد الدراسة. وسأكتفي من الروايات عن القرآن بهذا القدر الذي ربما يسمح باستعمال العقل في مناقشة الموروث الأدبي واللغوي بعيدا عن السقوط في مدارك التمجيد. والعلة في اختيار هذه الروايات كامنة في سياقها التاريخي.

(1) انظر مثلا: أبا الفرج الصفهاني، الأغاني-ج:10ص:359. وانظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية: ج-3ص:207

(2) انظر على سبيل المثال: ابن قتيبة، غريب القرآن، ص:215. وانظر: الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ص:7.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

المطلب الثالث: مشهد النساء الأعرابيات:

يتبادر إلى ذهن المتلقي دائماً عند متابعته للروايات المنسوبة للأصمعي تركيزه الشديد على شخصية المرأة البدوية، فلقاءاته بالرجال تكاد تكون عرضاً بينما تكثر لقاءاته بالنساء سيما الجواري المليحات الفصيحات جداً، إذ تبدأ القصة عادةً بشكل مفاجئ وتتطرق الألسنة بالفصاحة فور وصول الراوي. وعدد هذه الروايات كبير جداً، إذ تكون الأعرابية جاهزة دائماً لفضول الراوي ولتدخله الفج في الموقف. وقد احتل مشهد المرأة الثكلى عند المقبرة مساحةً كبيرة، والمرأة العاشقة، والمرأة في الطواف، والمرأة المستجدية بسبب الجذب، فهذه المواقف لها قصص طويلة جداً في كتب التراث التي تُروى عن الأصمعي، وأكثر قصصها مكررة المشهد.

مشهد المرأة الشاعرة على المقبرة:

سنسوق من هذه الأمثلة ما تسمح به مساحة الدراسة. فمن ذلك، مشهد الجارية المليحة عند القبور، وسأبدأ بأنسب هذه الروايات لسياق الواقع إذ تُنكر الشخصية على الراوي فضوله وتدخله ومخاطبة من لا تحل له: «عن الأصمعي عن أبان بن تغلب قال أتيت المقابر فإذا أنا بصبيبة قد كادت تخفى بين قبرين لطافة وإذا هي تنظر بعين جوذر فيينا هي كذلك إذ بدت لها كفان كأنهما لسان طائر بأطراف كأنها المداري وخضاب كأنه عنم ثم هبت الريح فرفعت عن برقعها فإذا بيضة نعام تحت أم رئال، ثم قالت: اللهم إنك لم تزل قيل كل شيء، وأنت بعد كل شيء، وقد خلقت والدي قبلي، وخلقنتي بعدهما، فأنسنتي بقربهما ما شئت، ثم أوحشتني منهما إذ شئت، اللهم فكن لي منهما مؤنساً، وكن لي بعدهما حافظاً، قال: فقلت: يا صبيبة، أعيدي لفظك، فلم تسمع، ومرت في كلامها ثم أعدت عليها فنظرت ثم قالت: يا شيخ والله ما أنا لك بمحرم فتحدثني محادثة أهلك، أهلك أولى بك. قال: فاستخفيت بين القبور مستحياً مما قالت لي، ثم سألت عنها فإذا هي أيم...» (ابن طيفور-ص: 25) ومن هذه الروايات أيضاً: «قال الأصمعي دخلت المقابر فإذا أنا بامرأة تنوح على زوجها وهي سافرة فلما رأته غطت وجهها ثم كشفتها فقالت:

لا صنت وجهاً كنت صائنه أبدأ ووجهك في الثرى يبلى

يا عصمتي في النائبات ويا ركني القوي ويا يدي اليمنى» (ابن طيفور-ص: 189)

«وحكي أيضاً عن الأصمعي رحمه الله تعالى أنه قال: بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة إذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول:

بروحي فتى أوفى البرية كلها وأقواهم في الحب صبرا على الحب





فايز مد الله الذنبيات (88-118)

قال: فقلت لها: يا جارية بم كان أوفى البرية وبم كان أقواها؟ فقالت: يا هذا، إنه ابن عمي هَوَيْتِي فهَوَيْتِهِ، فكان إن أباح عَنَّفُوهُ، وإن كتم لأموه، فأنشد بيتي شعر وما زال يكررهما إلى أن مات؛ والله لأندبته حتى أصير مثله في قبر إلى جانبه فقلت لها: يا جارية فما البيتان؟ قالت:

يقولون لي إن بحت قد غرَّك الهوى وإن لم أبح بالحبِّ قالوا تصبِّرا

فما لا مریء بهوى ويكتسم أمره من الحبِّ إلا أن يموت فيعذرا

ثم إنها شهقت وفارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها» (الأبشيبي، ص: 424). وموت الفجأة الذي يغشى الشعراء العاشقين متواتر في الروايات لا سيما إذا حضر الراوي وقال الشاعر بيتيه الأخيرين. ومن هذه الروايات أيضا: «قال الأصمعي: دخلت بعض مقابر الأعراب ومعني صاحب لي، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال، وعليها من الحلي والحل ما لم أر مثله، وهي تبكي بعين غزيرة وصوت شجي؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت: هل رأيت أعجب من هذا؟ قال: لا والله ولا أحسبني أراه! ثم قلت لها: يا هذه إنني أراك حزينة وما عليك زي الحزن. فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني فإنني رهينة هذا القبر يا فتيا

وإنني لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه حين يراني

أهابك إجلالا وإن كنت في الثرى مخافة يوم أن يسوءك شاني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بي بالا ويكثر في الدنيا مواساتي

قد زرت قبرك في حلي وفي حلل كأنني لست من أهل المصيبات

أردت أتيك فيما كنت أعرفه أن قد تسرَّ به من بعض هيأتي»⁽¹⁾

ويظهر تهافت هذه الراوية بسبب تكرار المشهد والجارية الجميلة القادرة على قول الشعر الفصيح الوفية لفقيدها. ومن هذه الروايات أيضا: «قال الأصمعي: رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول:

(1) وردت هذه الحكاية ومعها الأبيات في بعض الكتب مروية عن سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب، انظر ذلك عند: صفى الدين، الحلي، أنس المسجون وراحة المحزون، ص: 72.





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

إذا قيل مات أبو مالك فتى المكرمات قريع العرب

فقد مات عز بني آدم وقد ظهر النكد بعد الطرب

قَالَ: فملت إليها فقلت لها: من هذا الذي مات هُوَ لاءِ الخلق كلهم بموته؟ فقالت: أو ما تعرفه؟ قلت: اللهم لا، فأقبلت ودمعتها تتحدر وإذا هي مقاء برشاء ثرماء، فقالت: فديتك! هذا أبو مالك الحجام ختن أبي منصور الحائك! فقلت عليك لعنة الله! والله ما ظننت إلا أنه سيد من سادات العرب»⁽¹⁾ (القالبي، ج-1 ص:62). وفي وصف الدمامة يظهر نزوع الراوي لدوافع أخرى غير تصيد النظم الفصيح، كما أن في الرواية تسفيها للرائية والمرثي من جهة المنزلة والمكانة، ورفعة من جهة الفصاحة، لتزوير أن هذا لا يمنع ذلك. ومن هذه ما يبلغ درجة من غير المعقول إلى الخرافة إذ يُسمع صوت الموتى ويقولون شعرا أيضاً؛ وذلك تحت غطاء النوم على قبر الشاعر العاشق، كما جاء عن الأصمعي: «روى الأصمعي أيضاً قال: خرجتُ أريد بعض أحياء العرب، فجنني الليل، وبتت في جبان، وتوسدتُ قبراً، فسمعت في الليل من القبر قائلاً يقول:

أنعم الله بالخيالين عيناً وبمسراك، يا سعاد، إلينا

وحشة ما لقيتُ من خلل القبر بر عسى أن أراك، أو أن ترينا

فأرقتُ له ليلتي، فلما أصبحت دخلت الحي، فإذا بجنازة قد أُقبل بها، فسألت عنها، فقيل: هذه سعاد كانت تحب ابن عم لها، وإنهما تعاقدتا على الوفاء فهلك قبلها، فلم تزل تبكي عليه، فها هي قد لحقت به فتبعتهن، حتى دُفنت إلى جانب القبر الذي بتت عنده، وإذا هو قبر ابن عمها، فخبرتهم بما سمعتُ وانصرفت»⁽²⁾ (الوشاء، ص:111). وفي هذه الرواية نجد أن البيتين قد قيلاً بعد الموت ولم يقلهما العاشق عند خروج روحه. على أن ثمة روايةً للبيتين على أنهما على لسان حور الجنة وهن يستقبلن أحد أئمة الصوفية (المعري، ص:244).

إن الغريب في روايات الأصمعي هو تكرار المشهد نفسه والمكان وتغير النص المنطوق به. فمشهد المقبرة والجارية اكتفينا منه بما أوردناه سابقاً. وفيه من عدم المعقول ما يجعل بعضه ينقض بعضه الآخر. فكل هذه المصادفات جمعت الراوي بجواري المقبرة الشاعرات الفصيحات أثناء نديهن موتاهن، وكأنه كان يعمل حارس مقبرة! إن ذلك يثير العجب إذا صحت نسبتها للأصمعي. ومن هنا يذهب الباحث إلى أنه تم حياكة قصة لكل

(1) انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج-3 ص:182، وانظر كذلك: ابن حمدون، التذكرة، ج-4 ص:83

(2) انظر الرواية نفسها عند الانطاكي، تزيين الأسواق، ص: 271.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومرجعياتها الحجاجية (88-118)

أبيات رويت وهذه الحكاية إما منسوبة للأصمعي أو من صناعة الأصمعي. والغرض منها إثبات قوة السليقة، وسرعة استجابة المخيلة الشعرية للموقف، وهي تعزز رفع شأن العرق العربي. وإلا كيف يُعقل أن كل هذه المواقف تحدث عند المقابر وكل أبطالها جوار شاعرات بليغات يتقيدن بالجلوس وعدم النطق إلى أن تقترب كاميرا الأصمعي عندها يبدأ المشهد بالتحرك وتُسمع الأصوات. إن نظرةً عقليةً بسيطةً إلى كثير من هذه القصص يثبت عدم واقعيتها. وفي بعض القصص يُظهر لنا الراوي تجسسه على النادبات وهن لا يعلمن بوجوده وكل هذا مخالف لمعهد العرف.

مشهد المرأة الأعرابية وسؤال العشق:

إن الناظر في كثير من روايات الأصمعي عن الأعراب يخالجه كم من الشك في صحتها. وعند النظر في هذا الكم من الروايات نجد أن بؤرة الحدث تبدأ صدفة بوصول الأصمعي، إذ يبيح لنفسه أن يبادر بالسؤال لأي امرأة يراها أو يسمع صوتها، دون أن يحيلنا سياق الموقف على تمهيدات مقنعة تجعل من حوار الغريب مع الغريبة -بشكل فج- أمراً مسوغاً، لا سيما وأن الأصمعي ينقل لنا عادات أهل البادية وتحفظهم الشديد على النساء ولبسهن للبراقع. لكنه عادة ما يخرق هذا النمط فيبيح لنفسه أن يسأل عن العشق عندهم. كقوله: «قال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما تعدون العشق فيكم؟ قالت: الضمة والغمزة والقبلة، ثم أنشأت تقول:

ما الحبّ إلا قبلة وغمز كف وعضد

ما الحبّ إلا هكذا إن نكح الحبّ فسد

ثم قالت: كيف تعدون أنتم العشق؟ قلت: نمسك بقرنيها ونفرق بين رجليها. قالت: لست بعاشق أنت طالب ولد، ثم أنشأت:

قد فسد العشق وهان الهوى وصار من يعشق مستعجلاً

يريد أن ينكح أحبابه من قبل أن يشهد أو ينحلا»

(الأبشيهي، ج-2:ص:353)⁽¹⁾

وقد لا يجد المتلقي أدنى شك في رفض هذه الفجاجة الخلقية والوقاحة الزائدة التي لا تتوافق والصورة الكلية للمرأة في المجتمعات البدوية. غير أن الأبيات ربما قالها رجل ما حضري أو بدوي. لكن صناعة الحدث يجعل منها ملحاً محببة عن المتلقي، ناسيا القيمة

(1) وانظر: ابن الجوزي، أخبار النساء، ص: 51





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

الأخلاقية التي تصدر عنها. بل إن في بعضها شيئاً من أسلوب الكُتّاب المتأدبين يتنافى وفطرة اللغة البدوية. والرواية وإن جعلت شخصية المرأة الأعرابية فصيحة قادرة على التعبير بعمق عن المعنى- إلا أنها تظل غير واقعية؛ لأن مدلولها الأخلاقي لا يتوافق مع بيئة الأعراب. فقائلة هذا الكلام عند الغريب قد لا تكون حرة أو عفيفة. والحقيقة أن هذه الأبيات بعد التنقيب عنها- رُويت في كثير من المصادر للخليفة المأمون، وهو الأنسب عقلاً⁽¹⁾.

ومن هذه الروايات أيضاً: «وخبّرت عن الأصمعي أيضاً أنه قال: رأيت جاريةً وهي تقول: اللهم، مالك يوم القضاء وخالق الأرض والسماء، ارحم أهل الهوى، واستنقذهم من عظيم البلاء، واعطف عليهم قلوب أودائهم بالصفاء، فإنك سميع النجوى، قريب لمن دعا؛ ثم أنشأت تقول:

يا رب! إنك ذو ملٍّ ومغفرةٍ، بيّت بعافيةٍ منك المحبين

الذاكرين الهوى من بعد ما سهروا حتى يظلوا على الأيدي مكبين

فقلت: يا هذه، أنغنين وأنت في الطواف؟ فقالت: إليك عني، لا يُرهقك الحب! فقلت لها: وما الحب؟ وأنا به أعرف منها. فقالت: جلّ أن يخفى ودقّ عن أن يرى له كموّن كموّن النار في الحجر، إن قدحته أورك، وإن تركته تواري. قال: فتبعته حتى عرفت منزلها...» (الوشاء، ص: 90).

ولا يخفى تهافت مثل هذه الرواية التي تخطط فريضة الحج واللهج بذكر الله مع العشق واللهج بالمعشوق، والغريب أنها تأتي من امرأة وفي الطواف أيضاً، والغريب أن عدسة الراوي هي الأخرى ليست مستغرقة في الطواف، بل تبحث عن المشاهد الدرامية. كما أن إنكار الراوي عليها لم يكن نهياً عن المنكر بقدر ما هو إعجاب، بدليل أنه تبعها ليعرف مسكنها. كل هذا يجعل صورة المرأة تميل إلى صورة كاملة من المجون والفصاحة، تلك الصورة التي جعلنا نقرّبها من صورة جوارى القصور المتأدبات. على أن هذه الرواية تُروى عن أبي العيّن في سؤاله لإعرابي، وهو سياق معقول قابل للتصديق، كما تُرى في سياق سؤال الرشيد لأعرابي⁽²⁾.

(1) انظر مثلاً: الصولي، أبا بكر، أشعار أولاد الخلفاء، ص: 326. وانظر البكري اللّالي في شرح أمالي القالي، ج-2 ص: 691.

(2) انظر: الأبيسي، المستطرف: ج-2 ص: 345. وانظر: النويري، نهاية الأرب ج-2 ص: 142. وانظر: الأماسي، روض الأخيار، ص: 373.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

ومثل هذه الرواية لشخصية المرأة العاشقة قليلة الحياء والورع في المكان نفسه وهو الطواف والراوي الفضولي نفسه الذي يبادر إلى النهي عن المنكر، ويستنكر عليها عدم حيائها. «قال الأصمعي: رأيتُ جاريةً بالطواف وهي تقول:

لن يقبل الله من معشوقةٍ عملاً يوماً، وعاشقها حيرانٌ مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها لا شك مأجور

فقلت: يا جارية! أفي هذا المقام، أما حياء فيردعك؟ فأنشأت تقول:

بيضٌ أوانس ما هممن بربيبةٍ كظباء مكة صيدهن حرام

يُحسبن من لين الكلام زوانياً ويصدهن عن الخنى الإسلام»⁽¹⁾

(الأصبهاني، ص:38)

على الرغم من أن البيتين الأولين يدل معناهما على أن القائل رجل وليس امرأة. ولو رجعنا لسياق الطواف لعلمنا أن الطائف بالبيت لا يكاد يسمع صوت نفسه من ضجيج الحجاج، على أن الأبيات تُروى لغير واحد من الرواة⁽²⁾. وقد وردت الأبيات في كتاب أخبار مكة على أنها لأحد العرب، وليست في الطواف، بل في رفض الذهاب للحج، وهذا يقتضي فصل الورع عن المجون، وهذا يرجح ما ذهبنا إليه، والرواية هي «وَقَالَ آخِرُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَنَى وَالْحَجِّ:

قَالَتْ عَلِيَّةٌ لِمَنْ فِيهَا تَحَاوَلْنِي أَلَا تَحُجُّ قُلْتُ: الْحَجُّ مَحْظُورٌ

قَالَتْ: أَرَى النَّاسَ قَدْ حَجُّوا. قُلْتُ لَهَا مَا حَجَّ نَاسٌ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعَبِيرُ

وَلَوْ حَجَّجْتِ عَلِيَّ مِمَّا تَفْعَلِينَ بِنَا لَمْ يَقْبَلِ الْحَجُّ حَتَّى يَنْفَخَ الصُّورُ

لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا يَوْمًا وَعَاشِقَهَا غَضَبَانُ مَهْجُورُ

وَلَيْسَ يُأَجَّرُهَا فِي قَتْلِ عَاشِقِهَا لَكِنَّ عَاشِقَهَا فِي ذَلِكَ مَأْجُورُ»

(الفاكهي، ج-4ص:229)

(1) وانظر الوشاء، الموشى: ص: 92.

(2) انظر مثلاً: ابن السراج، مصارع العشاق، ج-2ص:217، وانظر: ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، ص: 173.





فايز مد الله الذنبيات (88-118)

وقد وقعت الرواية أيضا في كتب تخريج الحديث⁽¹⁾. وكل هذا كفيل برد الرواية من كل الجهات. ومن هذه الروايات: «قال الأصمعي: رأيت في طريق الحج جارين كفلتي القمر، فلما كانت السنة الثانية رأيت إحداهما فسألتهما عن أختها فقالت تزوج بها ابن عم لها، فقلت: لو أدركتها لتزوجتها، فقالت: ما يمنعك من شقيقتها في حسبها ونسبها...؟ فقلت: قول كُثير:

إذ واصلتنا خلّة كي تزيلها عرضنا وقلنا الحاجبية أوّل

فقلت بيننا كُثير أليس هو القائل:

هل وصل عزّة إلا وصل غانية في وصل غانية عن وصلها خلف»

(الراغب الأصفهاني، ج-2 ص:56)

وتروى هذه القصة عن الأصمعي فيما ينقله عن الشاعر كُثير ومعشوقته عزّة، وأنها تنكّرت له فدار بينهما الحوار⁽²⁾. ويتضح من سياق الرواية الأولى تهاقتهما، وجرأة الجارية الجميلة وقلة حيائها، بما يجعلها منافيةً لسياق الواقع المعقول. مع ملاحظة التركيز على سياق الحج. وقال: «الأصمعي عن أبان بن تغلب قال أضللت إبلاً لي فخرجت في بغائها فإذا أنا بجارية أعشى إشراق وجهها بصري، فقالت: مالك يا عبد الله؟ وما بغيتك؟ قال: أضللت إبلاً لي فأنا في طلبها، فقالت: أهل أدلك على من علمها عنده؟ قلت إذن تستوجبي الأجر، وتكتسبي الحمد والشكر، فقالت: سل الذي أعطاكهن فهو الذي أخذهن منك من طريق اليقين لا من طريق الاختبار، فإنه إن شاء فعل. قال: فأعجبني ما رأيت من عقلاها وسمعت من فصاحتها فقلت لها: ألك بعل؟ فقالت كان ونعم البعل! كان فدعي إلى ما منه خلُق فأجاب. فقلت لها فهل لك في بعل لا تدم خلائقه ولا تخاف بوائقه قال فأطرقت طويلاً ثم قالت:

كنا كغصنين في ساق غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات

فاجتث خيرهما من أصل صاحبه دهر يكر بفرحات وترحات

وكان عاهدني إن خانني زمن أن لا يضاجع أنثى بعد مثنواتي

وكنت عاهدته أيضاً فعاجله ريب الـمنون قريباً مذنبيات

فاصرف عتابك عن ليس يردعها عن الوفاء خلاب بالتحيات

(ابن طيفور، ص:58)

- (1) وجاء سندها كالاتي: «حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبِيعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ الْمَرْوَزِيُّ، عَنِ ابْنِ أَحْمَدَ النَّحْوِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ بِالْبَيْتِ، إِذْ بَصُرْتُ بِامْرَأَةٍ مُتَبَرِّقَةٍ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ...، الْخِرَاطِيُّ: أَبُو بَكْرٍ، اعْتِلَالُ الْقُلُوبِ ج-1 ص: 77 (حديث رقم: 131 وهو حديث مقطوع)
- (2) انظر تفصيل ذلك عند: ابن كثير، البداية والنهاية، ج-9 ص: 255





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

وبعيداً عن روايات العشق التي يكثر فيها الفحش والمجون، تقف عند السياق نفسه رحلة الحج والجرارية الجميلة الفصيحة الشاعرة: «قال الأصمعي، قال أبو عبيدة: رأيت بطريقي إلى مكة أعرابية تبيع الخوص لم أر أجمل منها قط، فوقفت أنظر إليها متعجباً من جمالها، إذا أقبل شيخ فقير فأخذ بأذننها فسار بها، فقلت من هذا؟ قالت: زوجي، قلت: كيف يرضى مثلك بمثله؟ قالت: إن له قصة، ثم أنشدت:

أيا عجباً للخود يجري وشاحها تزف إلى شيخ من القوم تنبال

دعاني إليه أنه ذو قرابة فويل الغواني من بني العم والخال»

(أبو حيان التوحيدي، ج-9 ص:13).

ومن هذا أيضاً: «قال حدثنا عثمان ابن طلوت قال حدثنا الأصمعي قال: دخلت البادية فرأيت جارية من أحسن الناس وجهها تحت أقبح الناس وجهها فقلت لها: يا هذه كيف رضيت مع جمالك أن تكوني تحت أقبح الناس وجهها؟ فقالت: يا هذا بنس ما قلت! فلعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه. أو أنا أذنبت فيما بيني وبين ربي فعاقبني به. أفلا أرضى لما رضي الله لي؟ قال فأسكتتني» (الزجاجي، ص:20). لعل التهافت في هذه الرواية وفي التي قبلها واضح، ويظهر فيها الحجة المفلقة التي يجعلها الأصمعي عنواناً لفصاحة الأعراب. ثم إن الغريب في هذه السياقات أن يعترض إنسان امرأة لا يعرفها فيسألها كيف قبلت بزوجك هذا، بل كيف يسمح زوجها بذلك؟ فهو من جهة المعقول لا يمكن إلا إذا كان السائل بليداً ثقيلاً فضولياً⁽¹⁾. وسأكتفي بهذا الجانب بما تقدم وقد تركت الكثير من الروايات المشابهة لغلوها في الفحش والمجون. إذ تدور حول المفهوم الحجاجي للفصاحة.

(1) ومن هذه الروايات: «قال الأصمعي: رأيت أعرابية بالذباح فقلت لها: أتندسيني؟ فقالت: إني لأنشد وأقول، فقلت: فأندسيني، فقالت:

لا بارك الله فيمن كان يخبرني أن المحب إذا ما شاء ينصرف

جد المحب إذا ما بان صاحبه وجد الصبي بثديي أمه الكلف

فقلت: فأندسيني من قولك، فقالت:

بنفسي من هواه على التنائي وطول الدهر مؤتلف جديد

ومن هو في الصلاة حديث نفسي وعدل الروح عندي بل يزيد»

أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر: ج-6 ص:24، والأبيات يرويها الجاحظ لأحد الأعراب من غير إسناد الرواية للأصمعي: انظر: الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص:186





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

قائمة المصادر والمراجع:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، (دت) المستطرف في كل فن مستظرف، (ط2) بيروت، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية.
- ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله، (1998م) شرح نهج البلاغة، (ط1) بيروت، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية.
- ابن الجوزي، أبو الفرج التيمي، (1982) أخبار النساء، (دط)، بيروت، شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة.
- ابن الجوزي، أبو الفرج التيمي، (1381هـ) ذم الهوى، (دط)، القاهرة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد دار الكتب الحديثة.
- ابن حبان، محمد بن أحمد التيمي، (1975) الثقات. (ط1) تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر.
- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، (1379هـ) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (دط)، بيروت، تحقيق: أحمد بن علي، دار المعرفة.
- ابن حمدون، بهاء الدين البغدادي، (1417) التذكرة الحمدونية، (ط1) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.
- ابن الخطيب، قاسم الأماصي، روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1423هـ.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.
- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الجليل، ط5، 1401هـ.
- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، (1908م) بلاغات النساء، (دط)، القاهرة، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (دت) التحرير والتنوير، (دط)، القاهرة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.
- ابن عبد ربه الأندلسي، طبائع النساء، مكتبة القرآن.
- ابن عبد ربه الأندلسي، (1404هـ) العقد الفريد، (ط1)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن العديم عمر بن أحمد العقيلي، (دت). بغية الطلب في تاريخ حلب، (دط) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر،
- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (دط) (دت).
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1418هـ) عيون الأخبار، (دط) بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1398هـ) غريب القرآن، (دط) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي، (1992) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (دط) بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر الدمشقي. (1966م) البداية والنهاية، (ط1)، بيروت، مكتبة المعارف.
- ابن كثير، إسماعيل الدمشقي، (1994م) تفسير القرآن العظيم، الطبعة الجديدة تحقيق: محمود حسن، دار الفكر.
- ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد (2008م) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، (ط1)، دمشق، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر.
- ابن منظور، الأنصاري الإفريقي، (دت) لسان العرب، (ط1) بيروت، دار صادر.





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

- ابن منظور الأنصاري الإفريقي، (1298هـ) نثار الأزهار في الليل والنهار، (ط1) مطبعة الجوائب القسطنطينية.
- ابن هبة الله، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي(1995)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، (دط). بيروت، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، دار الفكر.
- أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله التنوخي، (2001م) رسالة الغفران، (دط) بيروت، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية.
- أحمد زكي صفوت(دت)، جمهرة خطب العرب(دط)، بيروت المكتبة العلمية.
- أسامة بن منقذ، (1987 م) لباب الآداب، (ط2) القاهرة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة.
- الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داود، (1985 م) الزهرة، (ط2) الزرقاء الأردن، تحقيق: إبراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي، مكتبة المنار.
- الأصفهاني، أبو الفرج، (دت) الأغاني، (ط2) بيروت، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب الباهلي، (1993م) الأصمعيات - اختيار الأصمعي، (ط7) مصر، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف.
- الأنطaki، داود الضرير، (1993) تزيين الأسواق، (ط1)، بيروت. تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب.
- البيستي، محمد بن حبان أبو حاتم، (1977م) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، (دط)، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (1997م) اللآلي في شرح أمالي القاضي، (ط1) بيروت، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية.
- التنوخي، المحسن بن علي، (1398هـ) الفرج بعد الشدة، (دط)، بيروت، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر.
- التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، (1999م) البصائر والذخائر، (ط4) بيروت، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، (1901) المنتحل، (دط) الإسكندرية، تحقيق: أحمد أبو علي المطبعة التجارية.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، (1410هـ) البرصان والعرجان، (ط1) بيروت، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، (1968) البيان والتبيين. (ط1) بيروت، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، (1423 هـ) المحاسن والأضداد، (دط) بيروت، دار ومكتبة الهلال.
- الحسيني السراج القارئ، (1998م) مصارع العشاق، (ط1) بيروت، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية.
- الحلبي، صفى الدين، (1997) أنس المسجون وراحة المحزون، (ط1) بيروت، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر الأزدي، (1995) تفسير غريب ما فى الصحيحين البخاري ومسلم، (ط1) القاهرة، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة.
- الخرائطي: أبو بكر محمد بن جعفر، (2000م) اعتلال القلوب، (ط2) الرياض، تحقيق: حمدي الدمرداش، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- ديك الجن، عبد السلام بن رغبان مطلوب، (1964م) ديوان ديك الجن، (دط) دار الثقافة والنشر والتوزيع.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (88-118)

- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (دت) ميزان الاعتدال، (دط)، بيروت، تحقيق علي محمد البجاوي المجلد الأول، دار المعرفة للطباعة والنشر، .
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (1420هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (ط1) بيروت، شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام .
- الزجاجي، أبو القاسم (1980م)، أخبار أبي القاسم الزجاجي، (دط) بغداد تحقيق: عبد الحسين المبارك، دار الرشيد.
- الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، (1412هـ) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، (ط1)، بيروت، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي.
- الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، (1998م) المزهري في علوم اللغة، (ط1) بيروت، تحقيق: فؤاد علي، دار الكتب العلمية.
- الشرواني، أحمد بن محمد الأنصاري، (1960م) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، (ط1) مصر، مطبعة التقدم العلمية.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، (دط) 1960.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (2000م) الوافي بالوفيات، (دط) بيروت، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث .
- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (1936) أشعار أولاد الخفاء وأخبارهم، (دط) مطبعة الصاوي.
- العباسي، عبد الرحيم أبو الفتح، (دت). معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، (دط) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت.
- العسكري، أبو هلال (دت)، ديوان المعاني، (دط)، دار الجيل - بيروت .
- العلوي، يحيى بن حمزة، (1423هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1 تحقيق: عبد الحميد هندأوي. المكتبة العصرية، بيروت.
- الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي، (1414هـ) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ط2، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر - بيروت.
- القاسمي، جمال الدين (1418هـ)، محاسن التأويل، ط1، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القالبي، أبو علي (1926م)، الأمالي، ط2، عني به: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، (1964م) الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (دت) النكت والعيون (دط) تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت.
- المبرد، أبو العباس، (1997م) الكامل في اللغة والأدب، ط3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة.
- المرزباني، أبو عبيد الله، (1995م) أشعار النساء، ط1، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر.
- المزي، يوسف بن الزكي، (1980) تهذيب الكمال، ط1، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.





فايز مد الله الذنبيات (118-88)

- المسعودي، علي بن الحسين، (1409هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دط)تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة - قم.
- مسلم، بن الحجاج النيسابوري، (دت) صحيح مسلم، (دط) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعافى بن زكريا، أبو الفرج النهرواني، (2005 م) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ط1، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المفضل بن سلمة، أبو طالب، (1380هـ). الفاخر، ط1، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ناصر الدين الأسد، (1988) مصادر الشعر الجاهلي، ط7، دار المعارف بمصر،
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (2004). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت.
- النيسابوري، أحمد الثعلبي، (2002م) الكشف والبيان، تحقيق:أبي محمد بن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الوشاء، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، (1953م) الموشى -الظرف والظرفاء، ط2، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر - مطبعة الاعتماد.





رَوَايَاتِ الْأَصْمَعِيِّ عَنِ فَصَاحَةِ الْأَعْرَابِ: دراسة نقدية في معقوليتها ومزجياتها الحجاجية (118-88)

Al- Asmai Narratives: A Critical Study in Authenticity and Referentiality

Fayees Maddallah Althunibat

Faculty of Art and Humanities - Jazan University

Jazan - KSA

Abstract:

This paper deals with the phenomenon of Al-Asma'i's narratives through a contextual method that explores his referentiality in the many narratives that are attributed to him and which are scattered in hundreds of references. Some of these narratives appear to be false from an initial examination because of many unreasonable repetitions. The so-called "eloquence" of the Bedouins, which are attributed to Al-Asma'i, were used to refute the arguments of the Populists—the Persians who believed that the Arabs are not preferred over other nations and nationalities. Many of these narratives are to be weak to be accepted or they seem to be made to suit a particular context. The paper reaches the conclusion that Al-Asma'i favored the narratives that support his conception of eloquence; even the jokes and anecdotes that he narrates are the ones that conform to his criteria of eloquence.

Keywords: Asma'i narratives, literary criticism, narratives, eloquence, references.

